١

رسالة في النيل وما يتعلق به

للجلال المحلي

ولد المنم بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي ورجائي
الحمد لله الذي اجرى النيل بحكمته وجعل من الماء كل شيء حي برحمته
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له في ربوبيته واشهد ان
سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد بريته صلى الله عليه وعلى آله
وصحابته وبعد فيقول العبد الفقير الى مولاه جلال الدين
المحلي بلدا الشافعي مذهبا هذه مقدمة في مبدإ النيل
وما يتعلق به فصل في مبدإ النيل ومنتهاه وهو من
الجنة من تحت سدرة المنتهى اي التي تنتهي اليها علم الخلائق
ويوجد فيه من ورقها وتبعه البلط فرعاه فيه ب الحمه ومبدؤ
ظهوره للناس من اعين يخرج منها من جبل القمر المسمى
بذلك لشدة ضياء القمر هناك قيل من اسفله وقيل من اعلاه
له دوي لا يكاد يسمع احدهما صاحبه من شدته وانضيف الى القمر
لظهور تاثيره فيه عند زيادته ونقصانه بسبب النور والظلمة
والبدو والجفاف وهو خلف خط الاستوا اي استوا الليل والنهار
فهما مستويان هناك ابدا وذلك الموضع تسميه المنجمون
الفلك المستقيم صعد الجبل واحد من قوم ساروا من عند بعض
خلفا مصر بسبب علم اول النيل لينظروا ما وراه فلما علاه رقص
وصفق وضحك ثم مضى فيه ولم يعد ولم يعلم اصحابه شانه
ثم صعد اخر منهم ففعل كالاول ولم يعد ثم ثالث منهم مربوط
في وسط حبل ليجذبه به اصحابه حتى لا يمضي فيه ففعل كالاولين
فجذبه اصحابه بالحبل فخرس ولم يرد جوابا ومات من ساعته
فرجعوا وهو جبل مقوس عليه شراريف هكذا
وتلك الاعين
قيل عشرة وقيل اثنا عشرة كل عين منها يصب في منبسط

من

من الارض ثم يجتمع الماء في جزيرة عظيمة لا يدرك طولها ولا عرضها
ويجري منها في رمال وجبال وعمران قيل مسيرة سبعة اشهر
اربعة في الخراب وثلاثة في العمران شهران في النوبة وشهر في
الاسلام وقيل مسيرة تسعمائة فرسخ وقيل الف فرسخ من عمره
فيه موضع يعرف بالجنادل والصخور على اميال من اسوان
لا تمر فيه السفن هو فاصل بين مجرى سفن المسلمين وسفن الحبشة
الى ان يصب في البحر الملح برشيد ودمياط وغيرهما كما يصب ايضا في
بحر الروم والصين قال الحكما فينتهي الى مواضع فيرتفع منها بخار
ويجتمع في الجو فيحمله الغمام والريح الى الامكنة التي يريدها الله
تعالى فينزل فيها مطرا ثم يصل الى البحر ايضا ثم يصير مطرا وهكذا
والى هذا اشار الزمخشري فقال في قوله تعالى والسماء ذات
الرجع سمى السماء اي الغمام رجعا على عادة العرب في معتقدهم
ان الغمام يحمل الماء من البحر ثم يرجع اليه فهو يرجع الى الارض
بعد ما اخذ منها مرة بعد مرة ويؤيد ذلك ان في ماء المطر غالبا
ملوحة لمجاورته للبحر وان الاماكن القريبة منه امطر من غيرها
وان الغمام شاهدناه ملتبسا اقرب منه غيره وانه في زمن
البرد يشاهد البخار يرتفع منه الى الجو ويتراكم حتى يصير في
راي العين كالسحاب يجري كالريح والعلم انه ينزل مطرا في الامكنة
التي يريدها الله سبحانه وتعالى ويجوز ان لا يكون المطر من
ذلك بل من بحر بين السما والارض لولا هو لاحترقت الارض
من حر الشمس حكي ان بعضهم ارسل نارا اشهب خلف طائر
فصعد الى الجو وجا بعد ساعة وفي فمه سمكة فجمع الملك
علماء مملكته واستفتاهم عن حلها فما لوا انهم وكان فيهم شاب

الى تاجر يشتغل بالعلم قدم من مكة في طلب العلم بعد ان ترك
ابوه الانفاق عليه تحجرا منه فقال بجرمنها فقال له الملك لم قال
لا اقول حتى تحمل لي جملا تحمل له عشرة الاف دينار فقال اعطني
الآن منها الف دينار فاعطاه ذلك فبعث به الى ابيه وقال
قولوا له ان ابنك جابعنا عدمت سرزه فباع منها بالفي
دينار وهي الى الآن لم تفتح ثم قال للملك ان تبعث السما والى
بحر الابلة الا البازات الشهب وفي سمكة بسم وروك فيه
حديثا وهذا البازي فانه الطاير خطف هذه السمكة من
ذلك فان شحمه يحب القتل فاطعمها له فاتوا بشخص كذلك
واطعموه منها فمات من ساعته فاكمل له العشرة الاف دينار
فصل في زيادته يزيد النيل في بوونه ومسرى وابيب
وتوت وكلما اشتد الحر كثرت الزيادة وينقص غيره من
الانهار والعيون والابار عند زيادته كما تزيد هي عند نقصه
فتقل زيادته منها وقال اهل الهند من المطر حتى انه في زمن
علوها بسم المطر لبلادها راس الحبشة فيكثر في بعض السنين
ويقل في بعض فيعرفون بذلك كثرة النيل بمصر وقلته وقال
القبط من اعين ينبت عليه يراها من سافر ولحق باعاليه
فاذا اخذ في الزيادة اخضر قيل الاخضرار بركة منه باعاليه
لطول المكث تنقطع زمن نقصه يسوق ماؤها الزيادة
المتكدرة لاختلاط الما زمن نبعه بتراب الارض بالحمرة
اولا الغالبة بعد ذلك واذا بلغ في الزيادة تسعة اذرع
دخل خليج المنهى والفيوم اللذين حفرهما يوسف صلى الله
عليه وسلم وخليج سردوس الذي حفرها مان لفرعون

وفي

وفي ستة عشر ذراعا تروى اراضي مصر كلها وهي ثلاثون الف
الف فدان كما سمعت في ايام هشام لانه كان على كورها مائة
الف رجل وعشرون الفا سبعون الفا للصعيد وخمسون الفا
لاسفل لاصلاح الارض معهم المساحون والالة لحفر الخلجان
واقامة الجسور والقناطر وسد الترع وقطع القصاب والحلفا
وكل نبات يضر بالارض فاذا زاد ذراعا نقص مائة الف لاستبحار
بعض البطون او ذراعين نقص الريع لاستبحاره وحدوث
عقب انصرافه وباء بمصر واذا وقف على اخر الثالث عشر او
الرابع عشر او نصف الخامس عشر استوفي لمصر استول
الضر لبلادها بخلاف ما اذا دخل في السادس عشر ولم يوفر
لانتفاع البعض به والذراع الى اخر الثاني عشر ثمانية وعشرون
اصبعا وبعده الى المنتهى اربعة وعشرون واقل ما يبقى بعد
انصرافه بوحي من الله تعالى كارتفاعه ثلاثة اذرع في
قاع المقياس وفي تلك السنة يكون الما قليلا والمقياس اتخذ
اسامة بن زيد التنوخي لسليمان بن عبد الملك بالجزيرة بين
الفسطاط والجيزة والعمل عليه الى وقتنا هذا وهو اكبرها ذراعا
وقدرا ما بعد كما تقدم ويقرب به مقياس اتخذه احمد بن طولون
يعمل به عند كثرة الما وترادف الرياح واختلاف مهابها وكثر الموج
وحلوان مقياس صغير الذراع اتخذه عبد العزيز بن مروان
وقبل ذلك مقاييس ثلاثة كان يعمل بها احدها اتخذه يوسف
صلى الله عليه وسلم بمنف حين بنا الاهرام وثانيها بانصنا صغير
الذراع وثالثها باخميم اتخذتها دلوكة العجوز التي ملكها من
بقي من قوم فرعون بعد الغرق من الذراري والنسا والعبيد

فملكت مصر ثلاثين سنة وكانت ذات راي وحزم **فصل**

في الانهار المذكورة معه في حديث سيحان وجيحان والفرات

والنيل كلها من انهار الجنة وقيل انها من نهر الكوثر فسيحان

وجيحان ببلاد الارمن بقرب الشام عند المصيصة وليسا

سيحون وجيحون كما توهم بل سيحون نهر الهند يجري من جبال

باقاصيه مما يلي الصين الي ان يصب في بحر الحبشة مما

يلي ساحل الهند مقدار جريه اربعماية فرسخ وجيحون

نهر بلخ يخرج من اعين ويجري في بلاد خراسان من ترمذ

والفرانه وغيرها حتي ياتي بلاد حران ونحوها الي ان

ياتي خوارزم فيفترق بعضه في اماكن هناك ويمضي باقيه

الي البحيرة التي عليها القرية المعروفة بالجرجانية اسفل

خوارزم يجري منها اليها السفن طولها مسيرة شهر وعرضها

كذلك عليها المدينة الجديدة للترك المشتملة علي مسلمين

اقل منهم واما الفرات فليس بالعراق كما قيل بل هو

نهر فاصل بين الشام والجزيرة قيل مبداوه من جبال تدعي

البردخن علي يوم من بلاد قاليقلا من ثغور ارمينية فيجري

في ارض الروم الي ان ياتي بلاد ملطية مقدار جريه علي التحديد

الارض نحو خمسماية فرسخ واما الدجلة فانها من بلاد امد

من ديار بكر وتنصب اليها انهار سويط وساتيد وغيرهما وتنصب

في انهار واسط هناك الي ان تاتي الي بطيحة البصرة مقدار

جريها ثلاثماية فرسخ وقيل اربعماية وافضله النيل المبارك

عند غيره من الانهار بنبات القمح عليه وان ما يجيء من فراغ

ارضيه اكثر من غيره خاتمة في اصل النيل في حديث

الاسرا انتهيت الي سدرة المنتهي فرايت اربعة انهار تخرج

من اصلها نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت

يا جبريل ما هذه الانهار قال اما النهران الباطنان فنهران

في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات وفي حديث اخر عنه

صلي الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار

الجنة فيوخذ من الجمع بين الحديثين ان معني الباطنين

وهما قال مقاتل السلسبيل والكوثر غير البارز خبر وانه سدرة

المنتهي في الجنة وسميت بذلك لان علم الملائكة ينتهي اليها

كما تقدم ولا يعلم ما فوقها الا الله عز وجل وفي حديث اخر

عنه صلي الله عليه وسلم يسير الراكب في ظل الغصن منها اي

الغصن ماية عام ويستظل في ظل الغصن منها ماية الف

راكب فيها فراش من ذهب كان ثمرها القلال قال مقاتل

وهي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الالوان لو ان ورقة

وضعت منها لاهل الارض لمات اهل الارض وفي جامع النجاح

عن الليث قال شجرة المنتهي في السما السابعة لا يتجاوزها

نبي ولا ملك قد اظلت السما والجنة قيل لو تفقد اثار النيل

لوجد في اوله جريان اوراق الجنة ولذلك ندب اهل البلطي

لانه يتبع اوراقها في رحلها وفي حديث عليكم باهل الخروم فانه

يرهب من حشيش الجنة **فصل** في محاسن المشتملة

عليها مصر المسماة باسم ابي القبط مصر بن بيصر بن حام بن

نوح منها انها اكثر البلاد حبا كانت حبانها منفصلة تجافي

النيل يجري السفن من اسوان الي رشيد وان اراضيها وبناها

بالشاطي مركبة علي جداول تجري الما من تحتها وهو معني

قوله تعالى حكاية عن فرعون وهذه الانهار تجري من
تحتي واما ماوها احلى من بقية الانهار وهو من فوق
الى من اسفل وثما ولى الحزين مسكين قضا قوص
بعد ابيار انشد ابياتا منها

والله لولا العار ما اخترت غير ابيار
ولكن الصعيد اعلام وماوه احلا والادمي فساد

وعن كعب الاحبار ان النيل نهر العسل في الجنة والفرات
نهر الخمر وجيحان نهر اللبن وسيحان نهر الما وقيل فيه ايضا
ان النيل نهر الخمر والفرات نهر اللبن وسيحان نهر العسل
والدجلة نهر الما والاول اقرب وكذلك لحمها وحبها اطيب
من لحم وحب غيرها وبهذه الثلاثة التي هي عماد الحياة
فضلت على الشام وعسلها اطيب من عسل غيرها وقد
اهدى منه المقوقس للنبي صلى الله عليه وسلم فقال من
اين هذا العسل فقيل له من قرية يقال لها بنها فقال
اللهم بارك في بنها وفي عسلها ومنها انها كما قال بعض
الحكما تكون في كل سنة ثلاثة اشهر ارضها لولوة بيضا وهي
اشهر ركوب الما لها وثلاثة اشهر مسكة سودا وهي اشهر
خدمة الزرع والارض حينئذ روائح طيبة تشبه رائحة المسك
وثلاثة اشهر زمردة خضرا وهي اشهر ظهور الزرع ونموه وثلاثة
اشهر سبيكة ذهب حمرا وهي اشهر استوا النبات وتورد العشب
فانه يشبه الذهب في المنظر وعن ابن عمر من اراد ان ينظر الى
شبه الفردوس فلينظر الى ارض مصر حين تخضر زروعها وتزهو
ربيعها وتكسى بالنور اشجارها وذكر غيره بدل الاخير وتهذيب

ثمارها

ثمارها وغنت طيورها ومنها ان كورة اسيوط من صعيدها
التي لم يحجب الرشيد لما صورت له الدنيا كلها غيرها مساحة
ثلاثين الف فدان في دست واحد لو قطرت فيه قطرة فاضت
على جميع جوانبه يزرع فيها الكتان والقرط والقمح وغيرها
فما يرى بساط اعجب منه يحف به من جانبه الشرقي النيل
وسايره من جانبه الغربي جبل ابيض على صورة الطيلسان يسمى
جبل ابي فايد لا يسمع فيه الكلام من شدة اصوات الطيور
ومنها ان بها الهرمين اللذين بناهما هرمس الاكبر
وابنه من الحجر والرخام عرض ثلاثماية ذراع بذراعهم وقيل
اربعماية في ارتفاع مثلها كانا يكسيان بالديباج ويطوف
بهما الصابية ويقولون يا ابا الهول اليك قدمنا حجنا ولما
اتى الطوفان لم يهدمهما ولكن ردم البعض منهما احدهما
قبر هرمس والاخر قبر تلميذه اغاذيمون كان الملك اذا
مات وضع في حوض حجر واطبق عليه ثم بني له من الهرم
ما يراد من ارتفاع الاساس ثم يوضع الحوض وسطه ويبنى
عليه ويرفع الى الحد الذي يريد الان ويبني مدرجا
الى انتهايه ثم يسد الدرج وينحت الحجر من فوق الى اسفل
ويجعل له طريق في الارض بازج يعقد نحو ماية ذراع ولكل
من الهرمين باب يدخل منه على الوصف المذكور وعليه كتابة
يعلم من كان من الحكما ذاك المنزول بالقلم الرومي
منها انا بنيناها فمن يدعي موازاتنا في الملك او بلوغنا في
القدرة واتقاننا من السلطنة فليهدمها ويزيل رسمها فان
الهدم ايسر من البنا والتفريق ايسر من التاليف وقد ذكر ان

بعض ملوك الاسلام شرع في هدم بعضها فاذا اخراج مصر
وغيرها من الارض لا يفي بقلعه والله اعلم ومنها انه كان
بها من الانبيا ابراهيم الخليل واسماعيل ويعقوب واولاده يوسف
والاسباط الاثنا عشر وولد بها منهم موسى وهارون ويوشع
ابن نون ودانيال وارميا ولقمان وعيسى ولد باهناسى
المدينة المعروفة وبها النخلة الخ وبالحنوة النخلة التي اثمرت
لمريم لما وضعت عيسى تحتها ولم تثمر الا حينئذ وبطير الجميزة
التي صلى تحتها موسى وبالبهنسا الربوة التي اوي اليها عيسى
وامه سبع سنين لا الربوة التي بالشام فان عيسى ما دخل الشام
وبالمطرية بئر البلسم التي ظهرت بركة عيسى منها والله
اعلم بالصواب واليه المرجع
والمآب وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه
وسلم تسليما
كثيرا الى
يوم
الدين
تم